التّناص القرآني وأدبيّة تمثيله في شعر نزار قبّاني

د. نضال موسى مرزوق جقامة

الدراسات الادبية والنقدية

الأردن

Quranic intertextuality and literary representation in the poetry of Nizar Qabbani

Dr. Nidal Moussa Marzouk Gaqamah
Literary and Critical Studies
Jordan

الملّخص

لا شك بأن القرآن الكريم شكّل منبعًا ثرًا استعان به الأدباء، ليستلوا منه الثّراء اللغوي والدّلالي، وهذا ما أتاح لهم استثمار معانيه وقيمه في إبداعهم بشتّى الطرق، ما منح إبداعهم أبعادًا عميقة قوّة وتأثيرًا.

شغل التّناص الدّيني مساحة واسعة في أدب الشّاعر الكبير نزار قباني. لذا سعينا في هذا البحث إلى مُقاربة قصائد الشاعر لكشف ما جاء فيها من تناص قرآني. ما يسمح لنا بتفكيك نسيج شعره وصوره بغية كشف تقاطعها وعلاقتها بالنّص القرآني.

أضفى التناص القرآني على أدب نزار قباني جانبًا مهما من الإثراء اللّغوي والدّلالي والفنّي، ومنحه فاعليّة توليديّة؛ لذا، ارتأينا اعتماد القراءة التحليلية الوصفية لسبر أغوار إبداع الشاعر، وكشف قدرته على استلهام النص القرآني والربط بينه وبين الأحداث المعاصرة. وهكذا، تحوّل لديه وسيلة تعبيرية ناطقة دلالة، كشفت رؤيا الشّاعر إلى الحياة والوجود، من هنا جاء وقوفنا على أدبيّة تمثيله في شعر قباني.

الكلمات المفتاحيّة: التّناص- القرآن- التمثيل- نزار قبّاني.

Abstract

There is no doubt that the Holy Qur'an constituted a rich source that writers used to draw from the linguistic and semantic richness, and this allowed them to invest its meanings and values in their creativity in various ways, which gave deep dimensions, strength and influence to their creativity.

Religious intertextuality occupied a wide space in the literature of the great poet Nizar Qabbani. Therefore, we sought to approach the poet's poems in this research to reveal the Qur'anic intertextuality in them. This allows us to deconstruct the texture of his poetry and images in order to reveal their intersection and relationship with the Qur'anic text.

Qur'anic intertextuality gave Nizar Qabbani's literature an important aspect of linguistic, semantic and artistic enrichment, and gave it a generative efficacy; Therefore, we decided to adopt a descriptive analytical reading to delve deep into the depths of the poet's creativity, and to reveal his ability to draw inspiration from the Qur'anic text and link it with contemporary events. Thus, he used this as an expressive, meaningful method, which revealed the poet's vision to life and existence. This is why we analyzed the literary representation in Qabbani's poetry.

Keywords: Intertextuality - Quran - representation - Nizar Qabbani.

المقدّمة

شغل مفهوم التّناص الكثير من الباحثين والنقاد والدارسين وأصحاب الذائقة الفنية، وقد تحوّل إلى أداة من أدوات الإبداع الفني، بحسبانه مصدرًا إلهاميًا تراثيًا ثقافيًا يغني النّص الإبداعي.

يعدّ التناص القرآني لونًا من ألوان التّناص الديني. ونعني به حضور النّص القرآني في نصوص إبداعيّة أخرى بصور مُختلفة من شعر ونثر، ما ينسج علاقة قويّة بين التراث الإسلامي والأدب الحديث.

ونزار في تناصه القرآني، نسج شعرًا بدلالات عميقة استمدّها من دلالات القرآن الكريم، معبّرا عنها بطريقة مباشرة حينًا، وبطريقة خفيّة حينًا آخر، فغدت قصائده ثمرة ثقافية، لما يؤدّيه التناص فيها من دور بارز، أحالها قيمة حضارية، تلقي بجذورها في عمق التّراث الدّيني.

يُعد النص القرآني، مصدرًا غنيًا من المصادر التي توقظ الإلهام الشعري وتزيد من جذوته، يستلهم الشعراء من آياته، ويقتبسون ما استطاعوا من ألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

من هنا، سعينا في بحثنا وهو بعنوان: التناص القرآني وأدبيّة تمثيله في شعر نزار قباني، إلى تلمّس منابع الاقتباس من القرآن الكريم في شعر نزار قباني، الذي منحها جمالًا ورونقًا، وأضاء التجربة الشعرية التّوليدية بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فخرجت بحلّة جديدة، اقتباسا وتضمينًا وإيحاءً، كاشفة عن رؤيا الكاتب.

تنقسم الدراسة إلى فصلين رئيسيّن، يقع كل منهما على مبحثين:

الفصل الأول: يُعرّف بالشاعر وبمفهوم التناص (نشأته وتعريفه وأنواعه).

وهنا، نتحدث في المبحث الأول عن شخصية الشاعر وبيئته وأدبه، ثمّ نتطرق في المبحث الثاني إلى نشأة " التناص" عربيًا وغربيًا، ثم تعريفه لغويًّا واصطلاحًا، وذكر أنواعه.

الفصل الثاني: يتناول التناص القرآني وأدبيّة تمثيله لدى شعر نزار قباني.

وهنا، نتحدث عن حضور التناص الديني القرآني، وحالاته المختلفة من تناص لفظي في المبحث الأول، ثم التناص المعنوي في المبحث الثاني، مع شرح دلالات ذلك كله.

الفصل الأول

المبحث الأول: الشاعر نزار قباني: مولده، نشأته، ومكانته الأدبيّة

شاعر سوري "ولد .. في 12 أذار 1923م، في مأذنة الشحم وهو حي دمشقي قديم، لأب وأم دمشقيين"[1]؛ أما والده فيدعى توفيق قباني، وكان من البارزين في دعم الثورة ضد الاحتلال، وكانت لشخصية والده الأثر الأكبر في صقل شخصية نزار الذي طالما حاول تقليدها. يقول عن والده: "إذا أردت تصنيف أبي أصنفه من دون تردد بين الكادحين؛ لأنه أنفق خمسين عامًا من عمره يستنشق روائح الفحم الحجري"[2].

كان "نزار... من أسرة محافظة على التقاليد، ولا سيما أنه نشأ في حي دمشقي مشهور بالصلابة والتحدي للمستشرقين وقد سجن والده على أيدي الجنود السنغال في سجن تدمر الصحراوي، وقد أثر ذلك في نفس الشاعر بفخر واعتزاز؛ إذ وجد في عمل والده عملًا ثوريًا، دفعه إلى التمرّد والخروج على القانون"[3].

رأى الشاعر في صورة أبيه المثل الأعلى، الذي رغب في السير على خطاه؛ وقد اعترف عدّة مرات أنّه تأثر بشخصيته، إذ يقول: "إن أباه كان نارا وماء.. أخذ عنه هذه الصفات المتطرفة، وبدا ذلك في شعر رقيق عذب، شفاف العواطف، والانفعالات، وآخر يحمل ثورة وغضبا وقسوة"[4].

أما والدته فقد كانت لها مكانة خاصة لديه؛ إذ تعلق بها تعلقا شديدا، ولا يخفى على أحد أن أمّه كانت محورا أساسيا في حياته، يقول عن أمه: "أما أمي فكانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب، كانت تعدني ولدها المفضل وتخصني من دون سائر إخواني بالطيبات، وتلبي مطالبي الطفولية بلا شكوى ولا تذمر"[5].

هذا بالنسبة إلى مولده ونشأته، أما بالنسبة إلى ".. تحصيله العلمي فقد تدرج في تحصيل معارفه الأولى في مدارس الحي التي أسهمت في صقل موهبته الشعرية، إذ حفظ قصائد عمرو بن كلثوم وزهير والنابغة الذبياني وطرفة بن العبد"[6].

---

1. الهواري، صلاح الدين، المرأة في شعر نزار قباني، بيروت: دار البحار، ط1، 2004م، ص11.
2. المصدر نفسه، ص 37.
3. قباني، نزار، قصتي مع الشعر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 1979م. ص27.
4. عرفان، نظام الدين، آخر كلمات نزار قباني، بيروت: دار الساقي، ط1، 1999م، ص 46.
5. عمار، عاطف، الأعمال الكاملة، القاهرة: الحرية للنشر والتوزيع، ط1، 2005م، ص140.
6. قباني، نزار، الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972م، ص3.

"وكانت مدرسته الأولى هي الكلية العلمية الوطنية في دمشق، دخلها في السابعة من عمره، وتخرج منها في الثامنة عشرة، وهو يحمل شهادة البكلوريا الثانية قسم الفلسفة عام 1940م"[1].

وبعدها حصل على شهادته الجامعية الأولى وكانت في القانون، إلا أنه لم يعمل في مجال دراسته. يقول إيليا الحاوي: "حصل على شهادة الحقوق من جامعة دمشق إلا أنه لم يمارس المحاماة"[2].

أتقن نزار قباني ".. ثلاث لغات: الفرنسية والانجليزية بالإضافة إلى لغته الأم العربية ..، وأبدع فيها أجمل أشعاره، والتحق بعد أن أنهى تعليمه الجامعي بوزارة الخارجية السورية، وشغل عددًا من المناصب الدّبلوماسية في القاهرة، وأنقرة ولندن ومدريد وبكين وبيروت، واستقال من العمل الدبلوماسي في ربيع عام 1966، أسس دار نشر باسمه، وكان متفرغًا للشّعر"[3].

نظم نزار الشعر في سن مبكرة، إذ "دمدم ... أول كلماته من أول بيت شعر له، وكان حين ذلك في السادسة عشرة من عمره"[4].

توفي نزار قباني في مقر إقامته الأخير في لندن في 1998/4/30م عن عمر يناهز 75 عامًا قضى منها أكثر من خمسين عاما يكتب الشعر. وقد عدّ نزار شاعر الثورة والمرأة والتجديد، أرسى معالم خاصة في شعره، نقلته إلى مصاف الكبار من الأدباء والمبدعين.

المبحث الثاني: التناص: نشأته وتعريفه وأنواعه

أوّلًا: نشأته

1. في الأدب الغربي

أوّل من عُني بمفهوم التناص، العالم الروسي "ميخائيل باختين"*، يكشف عن ذلك ما ورد في ثنايا كتابه: " فلسفة اللغة"... لكن لم تكن وقفة "باختين" عند هذا المفهوم

1. قباني، نزار، الأعمال الكاملة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، ج7، 1997م، ص222.
2. الحاوي، إيليا، نزار قباني، بيروت: دار الكتاب، ط1، 1973م، ص3.
3. الهواري، المرأة في شعر نزارقباني، مصدر سابق، ص 15.
4. قباني، قصتي مع الشعر، مصدر سابق، ص 62.

* ميخائيل باختين (1895_1975) فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي روسي، ولد في مدينة أريول، درس فقه اللغة، تخرج عام 1918م، عمل في سلك التعليم وأسس حلقة باختين النقدية عام 1921م.

وقفة تامة مفصّلة بل ربما جاز لنا القول: إنّه وضع البذرة الأولى لنشأة هذا المفهوم عند الغرب.

ثم تبعته الباحثة الفرنسية "جوليا كريستيفا" * عام 1966م /1967م، التي أعطت هذا المفهوم حقّه؛ إذ وضعت تعريفات للتناص نجدها في دراستها المعروفة باسم "ثورة اللغة الشعرية".

تقول جوليا كريستيفا في معرض حديثها عن مفهوم التناص: "كل نص تشكّل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى"[1]، بعد ذلك تتالت الدراسات والكتابات الغربية التي عنت في هذا المفهوم، ومن بعض النقاد الذي تناولوا هذا المصطلح: الناقد الفرنسي"جيرار"، و"سويرس"، و"فوكو"، و"بارت"، و" بول ريكور".

2. التناص في الأدب العربي

في العصر الحديث، شكّل مصطلح " التناص" إشكالية كبرى بين الباحثين العرب، ويعود هذا الاختلاف إلى تنوع الفهم والرؤى وتنوع القراءات لديهم، فضلا عن اختلاف الترجمة لهذا المفهوم من المصطلح الغربي.

التناص بلفظه، قد يكون مصطلحًا جديدًا في الأدب العربي ونقده، ولكن لا يخفى على أحد أن"التناص" كان حاضرًا في كتبنا العربية القديمة بمفهومه ودلالته لكن بمسميّات أخرى؛ فالتناص تخريج لما سلف، وقد أطلق عليه علماؤنا كلمة: "السّرقات".

إذًا، التناص في الأدب العربي، مفهوم جديد بوصفه لفظًا حداثويًا، لكنه ظاهرة قديمة.. والمتتبع لها، يجد أن التناص يمتدّ من جذور وأصول عُبِّر عنها بمسميات أخرى، تتطابق على الأغلب، مع وجود اختلافات بسيطة بينها، ومنها: السرقات الأدبية، والاقتباس، والتضمين؛ "التناص في الأدب العربي مرّ ببدايات غنية بمسميّات نقدية

---

* من مواليد 24 تموز عام 1941 م، ولدت في مدينة سيلفن ببلغاريا، أديبة، عالمة لسانيات، محللة نفسية، فيلسوفة ونسوية فرنسية من أصل بلغاري. أصبح لكريستفا تأثير في التحليل النقدي الدولي، من الناحية النظرية الثقافية والنسوية بعد نشر كتابها الأول Semeiotikè في عام 1969. أنتجت عددا كبيرا من الأعمال وتشمل الكتب والمقالات التي تعالج التناص، والسيميائية، والتهميش، في مجالات اللسانيات، ونظرية الأدب والنقد، والتحليل النفسي والسيرة، و القضايا السياسية والثقافية و تحليل الفن وتاريخ الفن. جنبا إلى جنب مع رولان بارت، تودوروف، جولدمان، جيرار Genette، ليفي شتراوس، لاكان، Greimas، وألتوسير، و قد كانت واحدة من البنيويين، في ذلك الوقت عندما كان للبنيوية مكان رئيس في العلوم الإنسانية. و لكريستفا مكان مهم في الفكر ما بعد البنيوي.

1. الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، الأردن: مؤسسة عمان للنشر والتوزيع ط2، 2000م، ص12.

تناسب عصوره القديمة وعاد من جديد للظهور متأثرا بالدراسات اللسانية الغربية الحديثة كمصطلح مستقل له أصوله ونظرياته"[1].

ثانيا: تعريف التّناص

1. التناص لغة

نشير قبل البدء في الحديث عن التناص لغة، أنه قد تعددت المفاهيم لهذا المصطلح، ولم نجد تعريفًا مانعًا جامعا له. لربّما يعود ذلك إلى اختلاف الترجمة إلى العربية من اللغات الأخرى، لكن ربما نستطيع أن نتلمس طريقنا الصحيح بالكشف عن الجذر اللغوي "نصّ"، والبحث عن ذلك في القواميس والمعاجم العربية ولا يغيب عن الأذهان "أن اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة" عموما[2].

إنّ المصطلح الغربي الذي تُرجم إلى مفهوم التناصية في اللغة العربية، انبثق من الجذر العربي " نصّ"، الدال على الرفع والحركة والاستقصاء.

ولنتتبع بعض ما جاء في معاجم اللغة العربية، ونبدأ بما ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "نصص":

"نصص: النص: رفعُك الشيء. نص الحديث ينصُّه نصًا: رفعه. وكل ما أُظهر فقد نُصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصَّ للحديث من الزُّهري أي أرفع لـه وأَسندَ. يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نَصَصْتُه إليه. ونصت الضبية جيدَها: رفعته.

وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سم به ضربٌ من السير سريع "[3].

أما في القاموس المحيط، فقد أورد الفيروز آبادي في مادة (نصص)قوله:

"(نص)الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً: استقصى مسألته عن الشيء..."[4].

1. داغر، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، مصدر سابق، ص 131.
2. أبو زيد، دكتور نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م، ص 178.
3. ابن منظور، أبو الفضل محمد المصري، لسان العرب (تحقيق يوسف الخياط)، بيروت: دار لسان العرب، ج6، 1988م، ص648.
4. آبادي، الفيروز، القاموس المحيط، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، ج1، 1997م، ص858.

2. التناص اصطلاحًا

اختلف الباحثون في تعريف المفهوم اصطلاحًا، وقد اجتهدوا في وضع مجموعة من التعريفات بعضها أصاب، وبعضها اقترب، وبعضها ابتعد قليلًا من التعريف الدقيق، وسنورد بعض هذه التعاريف للمفهوم لدى علمائنا العرب، وبعض علماء النقد الغربي.

بداية، نبدأ بالتعريف الذي قدمه الدكتور محمد مفتاح، الذي قال: إنّ "التناص هو تعالق – الدخول في علاقة – نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[1].

عرّف الدكتور أحمد الزعبي التّناص بقوله: هو " أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه من طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[2].

والتناص الديني، على وجه الخصوص، فقد عُرّف بأنه: ".. تداخل نصوص دينية مختارة من طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطاب أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي للرواية بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروائي وتؤدي غرضًا فكريّا أو فنيّا أو كليهما معًا"[3].

أما غربيًا، فقد عرّفته جوليا كرستيفا بأنه: "التفاعل النصي في نص بعينه"[4].

هذا بعض ما قاله علماء النقد عن مفهوم التناص، ولربما نستطيع القول: إنّ الرابط المشترك بينهم يكمن في الإجماع على أن التناص هو عملية تفاعلية لتسخير نص لخدمة نص أخر، أو هو تزاوج بين نصّين لإخراج نص جديد يخدم الفكرة.

ثالثًا: أنواع التناص

بعد أن تناولنا مفهوم التناص من حيث نشأته وجذوره وارتباطه ببعض مفاهيم النقد الأدبي العربي القديم، لا بدّ من وقفة لتمييز أنواع هذا التناص ووجوهه المتعدّدة والمختلفة:

1. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م، ص121.
2. الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، مصدر سابق، ص 11.
3. الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، مصدر سابق، ص 37.
4. داغر، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، مصدر سابق، ص 128.

1. التناص الديني: ومنه التناص القرآني، والتناص من الحديث الشريف، وسير الصحابة والتابعيين وقصصهم، وما ارتبط بديننا الإسلامي، أو ربّما بالأنبياء والرسل والكتب السماوية الأخرى، وينقسم التناص الديني إلى عدّة أقسام منها:

أ. التناص القرآني: وهو أنّ يأخذ الأديب بقبس من القرآن الكريم مثل آية أو جزء منها، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أو يقتطع جزئية من قصة قرآنية ويضعها بين ثنايا نصه، ليخرج لنا تفاعلا واندماجا لخدمة النص الجديد.

ب. التناص من الحديث الشريف: وهو أن يأخذ الأديب نصًا لحديث شريف أو جزءاً منه بطريقة مباشرة أو غير مباشر، ويضعه بين ثنايا النص الأدبي ليخرج نصًا جديدًا.

ج. التناص من القصص القرآني وسير الأنبياء والصحابة والتابعين وما ارتبط بديننا الحنيف من حوادث معروفة ملئت بها الكتب.

2. التناص الوثائقي: يكون في النثر أكثر منه في الشعر، وهو أن نستفيد من وثائق ونصوص من الخطابات الرسمية والرسائل المختلفة سواء أكانت إخوانية أو شخصية أو خطابات ووضعها في نص جديد للخروج بفائدة لهذا التزاوج.

3. تناص التراث الشعبي: يقوم على توظيف النص الشعبي والحكايات القديمة والموروث الشعبي في نصوص أدبية حديثة.

4. التناص الأسطوري: وهنا يُستفاد من التراث وخصوصا الأسطورة، ووضعها في النص الأدبي، وتكون الأسطورة إما من التّراث الغربي "اليوناني، الفارسي وغيرها "أو من التراث العربي.

كما ينقسم التناص إلى نوعين رئيسيّن هما، تناص مباشر وتناص غير مباشر:

أ. التناص المباشر"التجلي": وهو أن يستحضر المؤلف نصوصًا مباشرة إن كانت دينية أو تاريخية أو وثائقية أو غير ذلك، لخدمة النص بعد تفاعلهما وتداخلهما واندماجهما معا، ويمكن القول: إن السرقة الأدبية والاقتباس والتضمين والاستشهاد في النقد العربي القديم، يمكن وضعها في إطار ما يسمى: التناص المباشر.

ب. التناص غير المباشر"الخفي": أما التناص غير المباشر فيكون بالتلميح والرمز والإيماء والمجاز ويكون بأن يضع الأديب أفكارًا تلمح من خلالهما المعنى بأسلوب غير مباشر وذلك

لخدمة النص الجديد، وهنا يبرز ذكاء الأديب في تسخير ذلك وأيضا فطنة القارئ في الربط واستخراج ذلك التناص الخفي.

وفي ذلك يقول الدكتور أحمد الزعبي: التناص"..هو الاقتباس بلغة النص نفسها وهو ما يسمى عند البعض (بالتناص المباشر) ويكون ذلك من الاقتباس من آيات القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو سير الأنبياء والصحابة وقصصهم التي وصلت إلينا، كل ذلك يكون تناصًا مباشرًا ظاهراً للعيان وبأسلوب مباشر، أما إذا كان الاقتباس يلحظ بالتلميح أو الإشارة أو الرّمز وبشكل غير مباشر أي الاقتباس بروحه ومضمونه فهو التناص غير المباشر"[1].

الفصل الثاني

التناص القرآني وأدبية تمثيله في شعر نزار قباني

المبحث الأول: التناص اللفظي مع القرآن

أولا: تناص الجملة

ثانيا: تناص الكلمة المفردة

المبحث الثاني: التناص المعنوي مع القرآن

توطئة

تناثر التناص، عمومًا، وبكل ألوانه: الأدبي والأسطوري والوثائقي والديني، وبالأخص القرآني في أشعار نزار قباني؛ وقد شكّل هذا التناص تفاعلًا وتشابكًا واندماجًا عضويًا مع نسيج قصائده. وهكذا، أخرج إلينا، فنًا تعانق فيه النّص الديني مع نتاج نصوصه الشعرية العصرية؛ إذ استقى قباني من القصص القرآني وسير الأنبياء والصحابة الكثير وضمّنها شعره .

والباحث لمواقع التناص في شعر نزار قباني، يجدها تناصًا متنوعًا ومتعدّدا؛ فتارة يكون معنويًا وتارة يكون رمزيًا إيحائيًا وتارة يكون لفظيًا.

1. انظر: الزعبي، أحمد، التناص التاريخي الديني مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا هلا، جامعة اليرموك، مجلة أبحاث اليرموك عدد1،مجلد13، 1992م، ص 170-200.

المبحث الأول: التناص اللفظي مع القرآن

أتقن الشاعر قباني توظيف النص القرآني في قصائده، مظهرًا عمق معرفته الدينية، وإبداعه الفني في رفع مستوى شعره، دلاليا ولفظيا، ما كشف وعيه الأدبي والديني ورؤيته الفذة.

والتناص القرآني لدى نزار ليس استرجاعًا للتراث الديني أو اجتراءً أو إنعاشًا للذاكرة فسحب، إنما هو عمليّة مقصودة للتواصل بين المؤلف والقارئ، وبين النص الأدبي والنص الديني، لإظهار القدرة على توليد نص جديد متكامل.

من هنا، نغوص في عمق هذا التناص، متوقفين بداية عند نوعه الأول المتجسّد في النصوص الشعرية تناصًا لفظيًا (جملة وكلمة مفردة)، ثم ننطلق منه لكشف مواقع التناص المعنوي، ودلالات ذلك كله.

أوّلا: تناص الجملة

يقوم التناص اللفظي على استدعاء النص القرآني في الشعر بحرفيته من دون إجراء أي تغيير عليه. وتناص الجملة يعني استخراج جمل وتراكيب كما هي من القرآن الكريم وتوظيفها بما يخدم المعنى والصورة في الشّعر.. وسنعرض شواهد عليه.

يقول نزار قباني في كتابه "قاموس العاشقين":

"ومحدود الذكاء....

ليس بالإمكان إقناعك بالحب....

فإن الله يهدي من يشاء...."[1].

استقى نزار من القرآن تناصًا لفظيا مباشرًا واضحا للعيان ومن دون مُواربة. فلا يخفى على أحد، قول الله تعالى في محكم التنزيل:

(لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)[2].

وقوله تعالى: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)[3].

1. قباني، نزار، قاموس العاشقين، بيروت: منشورات نزار قباني، ط6، 2001م، ص85.
2. (البقرة : 272)
3. (الأنعام : 88)

وقوله تعالى: (إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[1].

وقد وظف الشاعر هذا التناص ليعبّر عن فكرة جوهريّة، ألا وهي: لا يمكن لأي شخص أن يجبر أحدًا على حب أحدهم، فالحب لا إكراه فيه.

أما في قصيدة "هل تسمعين صهيل أحزاني"، التي أورد فيها نزار الكثير من معاني الفحش والابتذال، فقد ورد قوله:

"وسوف تقولين في ذات يوم حزين:

سلام على الحبّ

يوم يعيش..

ويوم يموت

ويوم يبعث حيّا "[2].

أيضًا، ورد هنا التناص اللفظي المباشر؛ فلا يخفى على أحد ما جاء في سورة مريم (عليها السلام) عن لسان الله تعالى قوله:

" وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا "[3].

وقوله تعالى: "وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"[4].

وظف نزار، هنا التناص، توظيفا رؤويًّا فلسفيا؛ فقد حوّل الحبّ إلى نبيّ يتكلم في المهد كما تكلّم عيسى "عليه السلام".. وقد وظّف هذا التّناص لينقل مُعاناة إحدى النساء التي تتمنّى لو أنّ الحبّ ينبعث من جديد، ولا يموت أبدًا.

استمرّ قباني في توظيف سير الأنبياء المستقاة من القرآن الكريم للتعبير عن رؤاه إلى الحبّ، إذ جعل نفسه موسى "عليه السلام" كليم الله، وفي ذلك يقول:

"وبعد ثلاثين عامًا،

رأيت بعينيك برهان ربي

وشاهدت نور اليقين،

1. (القصص : 56)

2. قباني، نزار، هل تسمعين صهيل أحزاني، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2006م، ص 63.

3. (مريم : 15)

4 . (مريم : 33)

وشاهدت كلّ الصحابة والمرسلين

وشاهدت برقا، وشاهدت نارا....."[1].

موسى "عليه السلام" آنس نارا كما ورد في القرآن الكريم، ولكن شاعرنا نزار شاهدها ؛ إلا أنّ نار نزار تختلف تمامًا، فهي نار عشقه وولعه.

يقول الله تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى"[2].

إذًا، لم يكتف شاعرنا بذلك، بل عرج في النص نفسه، على سيدنا يوسف "عليه السلام" حينما رأى برهان ربه. قال الله تعالى في سورة يوسف:

" وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ "[3].

وإن اختلف علماء التفسير في البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام، إلا أنّ نزار لا يشك أبدًا في برهانه، وقد تمادى في صورته الشعرية، واقترب من المحظور حينما وصف الهوى كأنّه الرّب:

"هو الهوى..

هو الهوى..

الملك القدوس، والآمر، والقادر،

والمعلوم والمجهول...

والمسكون بالأسرار

هو الذي يلمسنا بكفه

فتنبت الحنطة تحت جلدنا"[4].

في حين يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[5].

1. قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص56.
2. (طه : 9، 10)
3. (يوسف : 24)
4. قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص31.
5. (الحشر : 23)

ما يؤكّد إصرار قباني على تحقيق الإثم الشعري، موظفا بذلك التناص القرآني بصورة عجائبية صادمة للقارئ.. وهو بذلك يُعبّر عن فكرة لطالما آمن بها، وهي: إنّ الحب مقدّس لا يستطيع المرء أن يعيش من دونه. إنه شعور صاف يسكن القلب ويسيّر صاحبه كما يشاء، ولو خالف ذلك العقل وقوانينه الصارمة.

في قصيدة " أحبك أحبك والبقية تأتي" استثمر شاعرنا الإعجاز الرقمي في القرآن الكريم، إذ يقول:

"يخطفني الوجد إلى سبع سموات ...

لها سبعة أبواب...

لها سبعة حراس...

لها سبعة مقاصير...

بها سبع وصيفات...

يقدمن شرابا من كؤوس قمرية...

ويقدمن لمن مات على العشق...

مفاتيح الحياة السرمدية..."[1].

إنّ الهالة الإعجازية لهذا الرّقم واضحة بجلاء في هذا النص، والشاعر يكرّره مرارًا وتكرارا: (سبعة أيام وسبع سماوات وسبع مثان)

قال الله تعالى:

" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ "[2].

وقوله تعالى: " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ "[3].

وقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً"[4].

وفي ذلك تناص لفظي مباشر، يعبّر منه الشاعر عن وفائه للحب حتّى وفاته. وأنّ الله سيجازيه على وفائه ما يُجازي به الصالحون والشّهداء؛ إذ سينعم بالجنة وخيراتها،

1. قباني، نزار، أحبك أحبك والبقية تأتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م، ص 17.
2. (الطلاق : 13)
3. (الملك : 3)
4. (نوح : 15)

وينال مكرمة عظمية وهي مفاتيح الحياة السرمدية، وفي ذلك تعبير عن قدسيّة العشق والوفاء.

يعود نزار قباني في تمرّده الصارخ، إذ يقول في إحدى قصائده بعنوان: "خمسون عامًا من الشعر" من كتاب "هل تسمعين صهيل أحزاني" :

"في حين أن القصيدة هي تأمر وتنهى

وتقول للشعر: "كن فيكون" "[1].

وقد قالها أيضًا في موقع آخر من كتاب "هكذا أكتب تاريخ النساء"، قال:

"وجسدك الياسميني يأمر.... وينهى

ويقول للشيء: كن ...فيكون"[2].

وفي هذا التّناص المباشر تعبير عن خضوعه التّام لسلطتين مهّمتين في حياته، هما: المرأة والشّعر. فكما أنّ الله يأمر الشيء فيطيعه، كذلك هو يصنع مع ما تطلبه منه المرأة من جهة، والمعنى الذي يوحيه الشّعر إليه من جهة ثانية.. وهو بذلك يعترف بعدم خضوعه لقوانين المجتمع التي تحدّ الشعر لفظًا ومعنًى. إنّه تعبير عن الحرية المطلقة التي يؤمن بها ويمارسها فعلًا ملموسا.

إذًا، لم يكتف نزار بجعل نفسه نبيًّا، بل جعل من حبيبته إلهًا وقصيدته إلهًا آخر؛ وهو بذلك يرسل معنى خفيًّا مفاده: إنّه شاعرٌ يخلق الشّعر ولا يصنعه كما بقيّة الشعراء. نعود إلى القرآن الكريم، بحثًا عن هذا التّناص اللفظي.

قال الله تعالى: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"[3].

"قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ"[4].

"إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[5].

1. قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص11.
2. قباني، نزار، هكذا أكتب تاريخ النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط8، 2001م، ص89.
3. (البقرة : 117)
4. (آل عمران : 47)
5. (آل عمران : 59)

"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ....."[1].

"إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ"[2].

"مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ "[3].

"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[4].

"هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"[5].

يعود نزار قباني إلى البراهين الرّبانية في تناص يستحضر فيه الآية القرآنية:

"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"[6].

إلّا أن براهينه هو تختلف إذ يقول:

"تعلمت معنى التصوف في رحلتي

وسر الحلول وسر الفناء

وحين رأيت براهين ربي.....مثل الإناء"[7].

وفي ذلك تعبير عن رؤية فلسفيّة تجسّد رؤية الإنسان للوجود، وإلى الحياة والموت... وشاعرنا يبحث في رحلته الشّعرية عن براهين تكشف أسرار الحياة والفناء..

يحلّق نزار في تناص لفظي آخر، جميل في غرابته، وغريب في جماله، إذ يقول في " قصائد مجنونة":

" آه لو أعرف ما يحدث في داخل قلبي

إن أمر الحب يا سيدتي من أمر ربي "[8].

يدخلنا، هنا، نزار معه في دوامة الغيبيّات التي تجسد السّر المكنون في الذات الإلهية، وقد تحدث عنها القرآن في الآية القرآنية الآتية:

1. (الأنعام : 73)
2. (النحل : 40)
3. (مريم : 35)
4. (يس : 82)
5. (غافر : 68)
6. (يوسف : 24)
7. قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص78.
8. .قباني، نزار، أشعار مجنونة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط6، 2001م، ص69.

"يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو"[1].

إذًا، فالحب كما السّاعة من علم اللّه لدى نزار. لا سلطة له عليه، يحضر من دون إرادته. إنّها مشيئة الحبّ، التي لا تعترف لا بزمان ولا بمكان ولا بقيود.

وفي تناص لفظي آخر، يحمل معنى التحكّم والاستهزاء يقول:

"مجرد سؤال....

" جلودُنا ميتةُ الإحساسْ.....

أرواحُنا تشكو منَ الإفلاسْ.....

أيامنا تدورُ بين الزارِ.....

والشطرنجِ، والنعاسْ .....

هل نحنُ.....

"خيرُ أمةٍ قد أخرجت للناسْ "[2].

والآية القرآنية تقول: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"[3].

يُوظّف نزار التناص، هنا، ليعبر عن رؤيته الساخرة إلى واقعه المرير الذي يرفضه؛ فحال الأمة العربية يُرثى لها، وهي لديه أسوأ أمة! وقد وظّف بذلك الاستفهام الإنكاري ليعبّر عن الفراغ الروحي للإنسان العربي وزيفه ومعاناته وواقعه المرير.

يعود نزار ليعصف من جديد في تناص آخر؛ ففي "القصيدة المتوحشة" يقول:

"أحبيني ..

بكل توحش التتر ..

بكل حرارة الأدغال

كل شراسة المطر

ولا تبقي ولا تذري ..

1. (الأعراف : 187)

2 . قباني، أشعار مجنونة، ط6، مصدر سابق، ص89.

3 . (آ ل عمران : 110)

ولا تتحصري أبدا ..

فقد سقطت على شفتيك

كل حضارة الحضر

أحبيني" [1].

وهنا ذهب بعيدًا في توظيفه التناص القرآني الذي استلّه من قوله تعالى:

"وما أدراك ما سقر،لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر"[2].

شبّه الشّاعر، في هذا المقطع الشعري، محبوبته المتقلّبة دائمًا بالسّقر، تحرقه وتعذّبه! طالبا إليها أن تعشقه حدّ الجنون، وتعصف به قساوة من دون رحمة. وهو بذلك يشبه المرأة بالطبيعة، إنها الحرارة، والأدغال، والمطر... هي العذاب والشّفاء، والموت والحياة معًا.

تستمر دوّامة الجدل التي يتيه فيها نزار، فيقول في تناص لفظي آخر في كتاب "هكذا أكتب تاريخ النساء":

"ربما ...

أنا لم أعشقك حتى الآن ..لكن ربما....

تحدث المعجزة الكبرى.. وتنشق السما..

عن فراديس عجيبة..

وتصيرين الحبيبة..

وتصير الشموس يا سيدتي...

خاتما بين يدي..

وأرى في حلمي وجه النبي..

وأرى الجنة من نافذتي والأنجما..

ربما....

و تنشق السما..."[1].

---

1 . قباني، نزار، أحلى قصائدي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط18، 2001م، ص 59.

2. (المدثر : 27، 28، 29، 30)

1. قباني، هكذا أكتب تاريخ النساء، مصدر سابق، ص17.

مستلهمًا قوله الله تعالى: "وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ "[1].

وكذلك قوله تعالى: " فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ"[2].

يخرج قبّاني، هنا، عن المألوف، ويستمر في سفوره اللغوي.. فالسماء قد تنشقّ له، وقد تصبح الشموس والأنجم طوع يديه... ولربما يرى الجنة ووجه النبي أيضًا... دلالات متنوّعة تكشف عن شاعر نقل اللّغة إلى حيّز لا حدود له من الجرأة الفنيّة.

وقد وظف الشاعر هذا المعنى ردًا على امرأة تُطالبه بأن يحبّها كما تصنع هي. إلّا أنه عاجز عن حبّها، واستحالة ذلك تعود إلى قدريّة الحب، فلا سلطة له عليه. ويشبّه ما تطلبه منه بمعجزة يصعب تحقّقها، وفي ذلك تعبير عن فقدان الأمل بمبادرتها المشاعر ذاتها.

وفي تناص لغوي صريح آخر، يقول في " قصائد مغضوب عليها":

"كلها أضغاث أحلام"[3].

قال الله تعالى: "قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين"[4].

وفي ذلك تعبير عن الأوهام التي تخطر في بال الشّخص، إذ يؤمن بها ويبني على أساسها مواقف مصيرية. ونزار هنا استدل بالقرآن الكريم ليعلن براءته ممّا اتُّهم به.

ومن شواهد التناص اللغوي قوله:

"وأصدرت حكما بجلدك ثمانين جلدة

بتهمة الأنوثة... "[5].

قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[6].

يظهر نزار (الرجل الشرقي)، وتظهر معه الذكورية الشرقية الممزوجة بقوة التّشريع، في تناص لغوي رائع المعاني. ولكن من أعطى الرجل سلطة تطبيق الضرب والجلد والتعنيف بحق المرأة؟ ولمَ يفاخر بذلك؟

1. (الحاقة: 16)
2. (الرحمن: 37)
3. القباني، نزار، قصائد مغضوب عليها، بيروت: منشورات نزار قباني، ط4، 2001م، ص48.
4. (يوسف: 44)
5. قباني، هكذا أكتب تاريخ النساء، مصدر سابق، ص44.
6. (النور: 4)

إنه تعبير عن وجه من أوجه العنف الأسري الذي تتعرض له المرأة في المجتمعات العربية، وقد عُرف عن نزار انحيازه الشديد لقضايا المرأة، ودفاعه عنها وعن حقوقها، وإصراره على تبيان الظلم الذي تتعرض له في مجتمعها الذكوري.. فالمرأة تُضرب وتُهان وتُقتل بغطاء الدين، الذي يتخذه الكثير من الرّجال ستارًا يُسوّغ جرائمهم.

وقد كشف عن هذا الظلم في مقطوعة شعرية أخرى، إذ يقول:

"طبقت عليك علوم الأولين والآخرين

وحكمة الفلاسفة .. وجنون المجانين"[1].

والتناص جاء من الآية القرآنية الآتية، وبأسلوب واضح ومباشر وصريح:

قال الله تعالى: "قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ"[2].

مُعبّرًا بذلك عن الجنون الذي يُمارسه الكثير من الرجال بحقّ المرأة، بذريعة تطبيق ما جاء به الأوّلون والآخرون! ما يعني استمرار الإجحاف والظلم. كما يضيء نزار منه على موضوع ضرورة إعادة النّظر بالقوانين المستمّدة من القرآن، فلكل زمان أحواله وخصوصيّته... ولا يمكن أبدًا أن يُحكم العصر الحديث بقوانين الزّمن الغابر، وعقليّة أصحابه المتشدّدين. إنه دعوة إلى تجديد القراءة القرآنية.

أكثر نزار قباني من التناص الديني اللغوي في كل زاوية من ديوانه الشعري، وأراد منه إظهار قدرته على تسخير النص القرآني لخدمة المعنى لديه، وقد نجح في ذلك. إذ خرجت قصائده في قوالب توليفية جديدة، حملت خيال القارئ إلى المدى البعيد، ما حقق جمالية فريدة، كشفت رؤية نزار إلى عدة قضايا، ومنها: المرأة، الحب، المجتمع الشرقي بقيمه وعاداته، الفلسفة الوجودية، الدين... وغيرها من القضايا.

ثانيا: تناص الكلمة المفردة

وظّف نزار قبّاني التناص اللغوي، مُستعملا الكلمة المفردة المستلة من القرآن الكريم في قصائده الشعرية، لما تحمله ألفاظ القرآن من دلالات عميقة تخدم المعنى المقصود الذي يبغيه الشّاعر.

يقول شاعرنا في كتاب "الحب لا يقف على الضوء الأحمر":

"لم أشهد ليلة القدر....

1. قباني، هكذا أكتب تاريخ النساء، مصدر سابق، ص54.
2. (الواقعة: 49 و 50)

فهل أنت يا فاطمة ليلة قدري"[1].

وفاطمة هنا، هي الليلة والأمنية والمبتغى، وهي القيمة.

قال تعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ"[2].

وهو بذلك يمنح الحبيبة قدسيّة خاصّة، تمامًا كالتي تحمله ليلة القدر في الذّاكرة الشعبية .

ليلة القدر هي ليلة استجابة الدّعوات، ولعل المعشوقة كانت أمنيته المستحيلة.

أما التّناص اللفظي المتجسد، هنا، فقد تجلت في الألفاظ القرآنية الآتية: "أشهد، ليلة القدر".

وفي مقطع شعري آخر يقول:

"ولماذا هي لا تمحو ذنوبي؟

أبداً....والله في عليائه يمحو الذنوبا"[3].

تجسد التناص اللفظي، هنا، في الألفاظ الآتية: "تمحو، ذنوبي، الله، يمحو، الذنوب".

يعبّر نزار، في هذا المقطع الشعري، بأسلوب الاستفهام الإنكاري عن قساوة حبيبته التي ترفض مسامحته على ذنب ما ارتكبه. فما الذنب الكبير الذي اقترفه لتمنع عنه السماح؟ وهو بذلك يدعوها لأن تغفر الله، لأن الله تعالى بذاته يغفر و يعفو و يمحو...

كما نشهد التناص اللفظي الذي بدا واضحًا جليًا في قوله:

" وأتلو عليك كلامًا عن العشق...

ما جاء في كتب الأولين...

ولا جاء في كتب الآخرين...

فمن أي شيء ترى تشتكين"[1].

1. قباني، نزار، الحب لايقف على الضوء الأحمر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2001م،ص38.
2. (القدر: 1،2،3،4)
3. مصدر سابق، ص 16.
1. قباني، نزار، خمسون عاما في مديح النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط3، 2001م، ص19.

والتناص في هذه المقطوعة الشعرية يكمن في الألفاظ الآتية: "وأتلو، الأولين، الآخرين".

قال الله تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ"[1].

قال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ"[2].

قال تعالى:"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ"[3]، وفي لفظي الأولين والآخرين، قال الله تعالى: "ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ، وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ"[4].

وقال تعالى: "أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ"[5].

قال تعالى:"قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ"[6].

يعبّر نزار في المقطع الشعري السابق عن فخره بملكته الشعرية، إذ خص معشوقته بغزل شعري لم يتناوله شاعر أبدًا، منذ القدم حتى الآن. وهذا يذكّرنا بفخر المتنبّي بنفسه عندما قال: " وإني وإن كنت الأخير لآت بما لم تستطعه الأوائل".

وقد يكون التناص في الوزن الموسيقي في "فمن أي شيء ترى تشتكين"، وقد جاءت على الوزن الموسيقي المتكرر في سورة الرحمن. قال الله تعالى: "فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"[7].

نورد تناصا آخر في مقطع شعري آخر، إذ قال في"أحبك أحبك والبقية تأتي":

"لا تقنطي أبد من رحمة المطر...

فقد أحبك في الخمسين من عمري..."[1].

والألفاظ التي استفاد منها الشاعر من النص القرآني وسخرّها في نصه هي:"لا تقنطي، رحمة، المطر".

---

1. (الأعراف : 175)
2. (المائدة : 27)
3. (الشعراء : 69 و70)
4. (الواقعة : 13 و 14)
5. (المرسلات : 16و17و18)
6. (الواقعة : 49 و50)
7. (الرحمن : 13)
1. قباني، أحبك أحبك والبقية تأتي، مصدر سابق، ص48.

قال الله تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[1].

يحمل كلام الشاعر في المقطع الشعري السابق شيئًا من نرجسيّته؛ فهو المعشوق الذي تتمناه النساء. لذا يرسل رسالة لإحدى معجباته تحمل لها أملًا بسيطًا... فقد يعشقها يومًا ما.. لربّما عندما يصل الخمسين من عمره! ويحمل هذا العمر دلالة خاصة؛ فهو عمر النّضج لدى الرجل... وفي هذا صورة شعرية جذابة، ودلالات بعدية موحية، إذ إنّه يتّهم نفسه بعدم النضوج بعد.. وكأنّه يضع اللوم على ذاته كي لا يكسر خاطر تلك المرأة المعجبة به.

في موقع آخر، يقول الشاعر:

" كان كيوسف حسنا وكنت أخاف عليه من الذئب

كنت أخاف على شعره الذهبي الطويل

وأمس أتوا يحملون قميص حبيبي

وقد صبغته دماء الأصيل"[2].

وقد وردت، هنا، ألفاظا كثيرة وردت كلها في سورة يوسف وهي:"يوسف، أخاف عليه، الذئب، أتوا، قميص".

قال الله تعالى: "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ "[3].

وقال الله تعالى: " وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "[4].

يصف نزار في المقطع الشعري السابق جمال ابنه، ويشبّهه بيوسف الصديق، فشعره ذهبي طويل، يحمل جمال القمر وبريقه. معبّرًا عن عشقه وتعلّقه به، فضلًا عن خوفه عليه من التّعرض لأي مكروه؛ فالذئب رمز الشّر والأذيّة والموت.

1. (الزمر: 53)
2. مصدر سابق، ص88.
3. (يوسف : 13)
4. (يوسف : 18)

يسوق الشاعر عبارات الخيبة جراء فقدان ولده. وهو يرثيه بكلام موجع تحمل عبارات الأسى والحزن. وقد حمل كلامه أروع عبارات الفراق والأسى ومشاعر الأبوّة الصّادقة.

يقول الشاعر في كتاب"حبيبتي" :

" أمس انتهى فستاني التفتا...

أرأيت فستاني؟

حققت فيه جميع ما شئتا

وشيا ونمنمة

وطرائق شتى..."[1].

والمفردات التي وردت لديه في تناص لفظي من القرآن الكريم هي:"أرأيت، ما شئت، طرائق، شتى".

يعبر نزار، على لسان إحدى النساء، تفاخرها بجمال فستانها.. وقد عُرف عن نزار براعته في التعبير عن نفسية المرأة وطريقة تفكيرها وتباهيها بجمالها وأنوثتها وأناقتها.

ويقول في"هل تسمعين صهيل أحزاني" :

"....وإن كنت تعتبرين الزواج على سنة الله مني خلاصًا

فإن يقينك غير يقيني"[2].

والتناص اللفظي، تجلى في المفردات الآتية وهي: "سنة، الله، يقيني".

يعبر الشاعر، هنا، عن الاختلاف في وجهات النظر بينه وبين حبيبته، لا سيما في مسألة عقد الزواج. فالشاعر لا يعنيه أن يقيم عقد زواج بينه وبين معشوقته، بينما هي تشترط عليه أن يتزوجها زواجا شرعيا على سنة الله...

وهو خلاف يعكس المبادئ التي يؤمن بها كل منهما. فهو رجل متحرر من الدين، بينما هي امرأة متدينة مُحافظة ترفض ممارسة علاقة محرّمة خارج إطار الزّواج الشرعي.

1. قباني، نزار، حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط15، 2001م، ص 16.
2. قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص24.

أكثر نزار قباني من ذكر لفظة: " أبي لهب" في قصائده، وهو رمز الضالين والفاسدين الذين اختاروا منهج القتل والباطل وسفك دماء الأبرياء.

وهي لفظة واردة في القرآن الكريم. سنورد تباعاً، بعض الأمثلة من شعره:

"سأقول في التحقيق:

كيف غزالتي ماتت بسيف أبي لهب

كل اللصوص من الخليج إلى المحيط

يدمرون ...ويحرقون

وينهبون... ويرتشون

كما يريد أبو لهب"[1].

يصف نزار قاتلي زوجته بإجرام أبي لهب. وكانت زوجته بلقيس قد سقطت في إنفجار السفارة العراقية في بيروت. لذا، يوجه رسالة ملؤها الخيبة من تفشي الإرهاب في العالم العربي، فأصحاب الفكر الإجرامي يقتلون ويبطشون ويسرقون من دون أدنى رحمة. وهو بهذا الكلام يعبر عن الواقع العربي المزري... وعن ألمه لفقدان زوجته التي كان يعقشها عشقا كبيرا.

وفي هذا الكلام يجتمع رثاء الزوجة بلقيس بهجاء الواقع السياسي في العالم العربي.

ويقول أيضًا في القصيدة نفسها:

"كل الكلاب موظفون

ويأكلون... ويسكرون

على حساب أبي لهب"[2].

جاء توظيف لفظة " أبي لهب"، للإشارة إلى سلوك الموظّفين الإداريّين الفاسدين الذين يقومون بأعمال الرشوة والسرقة والتصرف بالمال العام لحسابات شخصية. وهو بذلك يدين هذا التصرف في المجتمع العربي، ويتهم من يقوم بذلك لصالح زعامات كبرى، بأبشع الصفات: فهم كالكلاب التي تقودها رؤوس كبيرة تمارس الفساد الإداري، وتستغل المناصب لغايات شخصية.

1. القباني، نزار، قصيدة بلقيس، بيروت: منشورات نزار قباني ط4، 2001م، ص71.
2. المصدر نفسه، ص72.

وفي "أشعار مجنونة" كرر نزار كلمتي: "القضاء والقدر" عدة مرّات، وضمهما سطور قصائده. وفي ذلك يقول:

"من غير تصميم
اشربي القهوة ياسيدتي
فالجميلات قضاء وقدر
والعيون الخضر والسود
قضاء وقدر"[1].

ويقول أيضًا في الديوان نفسه:

"كل شيء ممكن ما بين تشرين وتشرين
وما يحدث في داخل نهديك طبيعي
كهذا السكر الدافق من قلب مثمر
فاتركي أمرك للّٰه، ونامي
إن نهديك يجيئان إلى الدنيا قضاء وقدر
ويموتان قضاءً وقدر"[2].

جاء توظيف هاتين الكلمتين لدى نزار للتعبير عن صور شعرية تتألق غزلا في وصف محاسن النساء، اللواتي خصهن اللّٰه بجمال أنثوي يسرق قلوب الرجال وعقولهم. فسحر العيون تجسيد لإبداع الخالق في تصويره هذا الخلق المبدع..

يقول نزار في "الحاكم بأمر الحب":

" ....إن كان عندي ما أقول، فإنني
سأقول للواحد القهار"[3].

تجلى التناص اللفظي في: "بأمر، الواحد، القهار".

وفي ذلك تعبير عن إيمانه وتوحيده للّٰه الأحد.

ويقول في "أشعار مجنونة":

"أراه لايزال مثلما تركته منذ قرون سبعة

1. المصدر نفسه، ص33.
2. قباني، أشعر مجنونة، مصدر سابق، ص45.
3. المصدر نفسه، ص55.

مضاجعا جارية رومية
اقرأ آيات من القرآن فوق رأسه
مكتوبة بأحرف كوفية
عن الجهاد في سبيل الله والرسول
والشريعة الحنفية
أقول في سريرتي
تبارك الجهاد في النحور....والاثداء
والمعاجم الطرية
ياحضرة الخليفة..."[1].

تجلى، في هذا المقطع الشعري، التناص اللفظي، وذلك في المفردات الآتية:

"اقرأ، آيات، القرآن، الجهاد، سبيل الله، الرسول، الشريعة، تبارك، النحور".

وقد وُظّفت هذه الألفاظ في إطار اعتراف الشاعر بجهاد الحب والعلاقات الغرامية، وإيمانه بعالم الجسد واللذة، متهكمًا في المقابل على من يحمل ثقافة الموت والجهاد. فالجهاد الحقيقي يكمن برأيه في جسد المرأة، أرضا للمعركة الشبقية... لا جهاد الحرب والموت وشرائع السلفية.

في كتاب "كل عام وأنت حبيبتي" يقول:

"كلما سألوها عن شعري، كانت تجيب
(ملائكة الأرض والسماء ...ترضى عليه)"[2].

تجلى التناص، هنا، في الألفاظ الآتية: "ملائكة، والأرض، والسماء".

وقد وظفت هذه الألفاظ في إطار فخر الشاعر بنفسه؛ فمعشوقته راضية عن جميل شعره، لا بل أكثر، فملائكة الأرض والسماء تبارك ما يصنعه. إنه توفيق إلهي للشاعر الفذّ.

ومن جميل شعره قوله:

" بلقيس
أيتها الشهيدة والقصيدة

1. قباني، أشعر مجنونة، مصدر سابق، ص91.
2. قباني، نزار، كل عام وأنت حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م، ص94.

والمطهرة النقية

سبأ تفتش عن مليكتها

فردي للجماهير التحية"[1].

قال الله تعالى: "فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ"[2].

والتّناص هنا في: "سبأ، وشهيدة، ومطهرة".

تلاحمت صورة الطهر بين ملكة سبأ وزوجته بلقيس، المقتولة ظلمًا. إنها الشهيدة الطاهرة.

يعبّر الشاعر عن افتقاده لها، موظّفا التناص اللفظي القرآني؛ فهي الملكة على عرش قلبه... يرسل إليها شوقه وحنينه متمنيّا لو أنّها تردّ السلام... إنه الفقد بأوجع صوره! فالحبيبة سُفكت دماؤها، ويستحيل أن تعود.

ومن أمثلة التناص اللفظي أيضًا، ما ورد في "قصائد مغضوب عليها":

"إن جاء يوم الحشر"[3].

"كي لا يقول المخبر السري أني كنت أتلو سورة الرحمن"[4].

"يا طلقة الرصاص في جبين أهل الكهف"[5].

والتناص اللفظي، هنا، تجلى في الألفاظ المفردة المباشرة الآتية:

"يوم الحشر، أتلو، سورة الرحمن، الكهف"

وقد وظف الشاعر هذه الألفاظ تعبيرا عن رؤيته للواقع السياسي المرفوض؛ فالدين مُزيّف وتطبيقه ينافي حقيقة قيمه ومبادئه. وهو بذلك يأمل خلاصه.

كما أنّ المجتمع العربي غارق في سباته تماماً كأهل الكهف، وأكثر ما يحتاجه رصاصة توقظه من ضياعه وموته.

إنها رسالة تحمل رجاء الوعي، لبناء عالم آخر يؤمن به نزار. عالم تسوده قيم الخير والجمال والعدالة، لا قيم الجهل والتخلف والتعصب الأعمى.

---

1. قباني، بلقيس، المصدر السابق، ص18.
2. (النمل : 22)
3. قباني، قصائد مغضوب عليها، المصدر السابق، ص12.
4. المصدر نفسه، ص21.
5. المصدر نفسه، ص47.

المبحث الثاني: تناص المعنى

هو التناص الإشاري، الذي يقوم على الاقتباس القرآني من دون الالتزام بحرفيّة الألفاظ والجمل، بأسلوب يثير في المتلقي قدرة إيحائيّة متمثلة في المعنى الخفي. إذ يستفيد الشاعر من الومضات القرآنية، والتمثل الخفي للمعنى المتجسد في الألفاظ القرآنية، وفي هذا النوع من التناص " يعمد الشاعر إلى الاختصار والتكثيف اقتصارًا منه على الدلالات الإيحائية والإشارات الرمزية"[1].

ومن شواهد التناص المعنوي، نعرض بعض الشّواهد، ومنها:

"ولماذا هي لا تمحو ذنوبي؟

أبداً....والله في عليائه يمحو الذنوبا."[(2)].

قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا"[(3)].

تحمل هذه الصورة الشعرية دلالة الاستعطاف؛ فالشاعر استعان بالاستفهام الإنكاري وكأنه يتوسل الحبيبة أن تغفر له... محاولا إقناعها بالمعنى الخفي المتسجّد في الآية القرآنية السابقة.

في المقطوعة الشعرية الآتية، نرى أنواعًا مختلفة من التناص القرآني. إن كان في الجملة أو اللفظة المفردة أو المعنى...

كما أن الشّاعر وظف الرقم سبعة الموجود في القرآن الكريم، كما ذكرنا سابقًا، ليبني منه عالما شعريًّا قائمًا على الإيحاء الدلالي، وهو بذلك الاستلهام يرسم لوحة لا تخلو من الإبداع، إذ يقول:

"يخطفني الوجد إلى سبع سموات ...

لها سبعة أبواب...

لها سبعة حراس...

لها سبعة مقاصير...

بها سبع وصيفات...

1 التميمي، محمد، القرآنية في شعر الرواد، رسالة ماجستير كلية الأداب جامعة القادسية، 2000م، ص 80.

2. قباني، الحب لايقف على الضوء الأحمر، مصدر سابق، ص16.

3. (النساء : 48)

يقدمن شرابا من كؤوس قمرية...
ويقدمن لمن مات على العشق...
مفاتيح الحياة السرمدية..."[1].

التناص بين ما قاله الشاعر وما ورد في آيات الله من ذكر الرقم سبعة.

إذ يحمل هذا الرقم، في المقطع الشعري السابق، دلالة البعد وصعوبة الوصال، فضلا عن قدسية الحب والإخلاص والعشق.

أمّا التناص المعنوي فقد تجسد في المعنى القرآني: الذي يصور مشهدًا حسيًا من مشاهد الجنة؛ وهي مشاهد تبعث في القلب الانشراح والروعة والمتعة " حياة سرمدية، كؤوس، حراس.." إنه النعيم الإلهي في الجنة. والشاعر يتصوّر نفسه في الجنة وقد قُدّمت له كؤوس الحب، ومفاتيح الخلود. وفي ذلك إشارة إلى اطمئنان سريرته، فهو من أهل الخير وسينعم يومًا بملذات الجنة.

والشاعر بذلك لم يستق الألفاظ حرفيًّا من القرآن، إنما أوحى إلى المعنى إيحاء غير مباشر من طريق الصّور الحسية التي أغرت القارئ لاستكشاف المعنى.

في تناص معنوي آخر، سخّر الشّاعر المعنى القرآني في قصّة سيدنا يوسف عليه السلام، إذ قال:

"كان كيوسف حسنا وكنت أخاف عليه من الذئب
كنت أخاف على شعره الذهبي الطويل
وأمس أتوا يحملون قميص حبيبي
وقد صبغته دماء الأصيل"[1].

من قرأ كتاب الله سيستحضر، هنا، قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي أفرد الله لها سورة كاملة في القرآن الكريم.

قال الله تعالى: "قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ "[2].

1. قباني، أحبك أحبك والبقية تأتي، مصدر سابق، ص17.
1. قباني، أحبك أحبك والبقية تأتي، مصدر سابق، ص88.
2. (يوسف : 13)

قال الله تعالى: "وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "[1].

والمعنى الموظف في المقطع الشعري السابق، هو خطاب جاء على لسان أبناء النبي يعقوب " عليه السلام"، عندما جاؤوا لوالدهم بقميص أخيهم يوسف، وهو ملطّخ بدم كذب، مدّعين بأن الذئب قد أكله.

والشاعر استوحى الصّورة القرآنية السابقة، ليشير بذلك إلى حرقته بعد خسارته ابنه توفيق الذي رحل بنوبة قلبية؛ إذ تمنّى الشاعر لو أن نبأ وفاة ابنه كان كاذبًا.. تماما ككذبة أبناء يعقوب... فيوسف لم يمت، بل عاد بعد سنوات مضنية إلى حضن والده... أمّا هو فابنه لم يعد أبدًا.

الشاعر يرثي ابنه الذي أحبّه، والذي كان يخاف عليه من شرور الدهر، إلا أنه رحل، وقميص الموت كان شاهدا حقيقيًّا على اللوعة المرّة التي تجرّعها بعد رحيل ابنه.

وظّف الشاعر حادثة الإسراء والمعراج الواردة في القرآن الكريم، بمعناها وليس بحرفيّتها، إذ يقول:

"وحين أعود...
سأخبر قومي بأني رأيت وأني سمعت
...شموس تدور"[2].

والتناص، هنا، جاء معنويًّا. سخّره الشاعر مستفيدا من حادثة الإسراء والمعراج. وهو تناص غير مباشر، مقتبِسًا ممّا ذكره الرّسول (صلى الله عليه وسلم) حينما ذكر حادثة الإسراء والمعراج لأهله بعد أن أكرمه الله سبحانه وتعالى بها، وقد أفردت لها سورة كاملة في كتاب الله العظيم في سورة "الإسراء". والشاعر بذلك يدّعي النبوة في إشارة إلى وصوله اليقين المعرفي لينال ثقة المتلقّي، ويمنح ما يقوله صدقيّة محتومة.

يقول قباني في "أحلى قصائدي":

"تعري واشطري شفتي
إلى نصفين... يا موسى بسيناء"[1].

1. (يوسف : 18)
2. قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، مصدر سابق، ص 79.
1. قباني، أحلى قصائدي، مصدر سابق، ص59.

يشبّه الشاعر عشيقته التي تشطر شفتيه إلى نصفين بنبي من أنبياء الله تعالى موسى بن عمران عليه الصّلاة والسلام حينما شطر البحر بأمر ربه، وفي ذلك تناص معنوي لجأ إليه الشاعر موظّفًا دلالات قرآنية في خدمة الصّورة الإيحائيّة الشعرية. ويحمل هذا التشبيه نوعًا من التمرّد والخروج عن المألوف.

في مكان آخر يقول نزار :

"فمررت مثل الماء بين أناملي

بشرت في دين الهوى...لكنهم..."[1].

والتناص، هنا، في المعنى المستوحى بأسلوب غير مباشر من معجزة تدفّق الماء بين أصابع النبي عليه وسلم.. وهو بذلك يوظف الدلالة الدينية ليمنح شعره إشعاعات جمالية وإيحائية؛ المعنى القرآني يجلبه الشاعر في قصيدته بأسلوب غير مباشر ويرمي به متخفيًّا بين ألفاظه وتراكيبه، فيخلق بذلك معنى متخفيًّا، على القارئ أن يجهد في البحث عنه.

1. قباني، قصائد مغضوب عليها، مصدر سابق، ص6.

الخاتمة

شكّل القرآن الكريم مرجعًا رئيسًا استعان به الشاعر نزار قباني ليغني به عوالم شعره وصوره الإبداعية، نظرًا لما يحمله من بيان وبديع وإعجاز قرآني، فحمل رؤيا خاصّة إلى الحياة والوجود ممثلة أدباً شعريًّا.

التناص القرآني لدى نزار، تباين بين الاقتباس المباشر من القرآن بالمفردة أو الجملة من دون أي تغيير أو تحوير من جهة، والتناص غير مباشر متمثّلًا بالإيحاء الخفيّ من جهة ثانية.

أضاف التناص القرآني إلى شعر نزار قباني الكثير من الرّقي، وقد أبدع في توظيفه، بألفاظه ومعانيه، فضلا عن صوره وتراكيبه.. وهكذا تحوّل القرآن الكريم إلى نبع ثري أمدّ الشاعر بصور أدبية حفلت بها قصائده.. وقد منح كتاب الله قصائده كنزًا لغويا ومعرفيا أغنى أسلوبه، لا سيّما أنه استلهم منه ما يُعبّر به عن رؤاه وآرائه وقضاياه التي يؤمن بها، بغية إيصالها إلى القارئ بأسلوب جذاب موحٍ.

شكّل نزار قباني مدرسة شعريّة امتازت بالخروج عن المألوف والجرأة في الطرح؛ إذ طرح من طريق أشعاره قضايا تمسّ الوطن العربي من فساد واستعمار وسلب الخيرات، فضلا عن قضايا المرأة التي آمن بها، ودافع عن مظلوميتها، ووصفها بأجمل أشعار الحب والغزل، ما يعني أن الشاعر وجد في ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، معادلا موضوعيا لذاته ولوطنه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. آبادي، الفيروز، القاموس المحيط، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، ج1، 1997م.
2. ابن منظور، أبو الفضل محمد المصري، لسان العرب (تحقيق يوسف الخياط)، بيروت: دار لسان العرب، ج6، 1988م.
3. أبو زيد، دكتور نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.
4. التميمي، محمد، القرآنية في شعر الرواد، رسالة ماجستير كلية الأداب جامعة القادسية، 2000م.
5. الحاوي، إيليا، نزار قباني، بيروت: دار الكتاب، ط1، 1973م.
6. حماد، حسن محمد، تداخل النصوص في الرواية العربية بحث من نماذج مختارة، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1997م.
7. داغر، شربل، التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة فصول، عدد1، مجلد 16، 1997م.
8. رباعي، ربى عبد القادر، التضمين في التراث النقدي والبلاغي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1993م.
9. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، الكويت، ج18، 1979م.
10. الزعبي، أحمد، التناص التاريخي الديني مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية في رواية رؤيا هلا، جامعة اليرموك، مجلة أبحاث اليرموك عدد1،مجلد13، 1992م.
11. الزعبي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، الأردن: مؤسسة عمان للنشر والتوزيع ط2، 2000م.
12. عباس، محمد جابر، استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث علامات في النقد، جدة: نادي جدة الأدبي، ج46، م12، 2002م.
13. عرفان، نظام الدين، آخر كلمات نزار قباني، بيروت: دار الساقي، ط1، 1999م.
14. عمار، عاطف، الأعمال الكاملة، القاهرة: الحرية للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.

15. الغذامي، دعبدالله، ثقافة الاسئلة مقالات في النقد والنظرية، جدة: النادي الأدبي الثقافي،ط2، 1992م.
16. قباني، نزار، أحبك أحبك والبقية تأتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م.
17. قباني، نزار، أحلى قصائدي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط18، 2001م.
18. قباني، نزار، أشعار مجنونة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط6، 2001م.
19. قباني، نزار، الأعمال الكاملة، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، ج7، 1997م.
20. قباني، نزار، الحب لايقف على الضوء الأحمر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2001م.
21. قباني، نزار، الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1972م.
22. قباني، نزار، حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط15، 2001م..
23. قباني، نزار، خمسون عاما في مديح النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط3، 2001م.
24. قباني، نزار، قاموس العاشقين، بيروت:منشورات نزار قباني، ط6، 2001م.
25. القباني، نزار، قصائد مغضوب عليها، بيروت: منشورات نزار قباني، ط4، 2001م.
26. قباني، نزار، قصتي مع الشعر، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 1979م.
27. القباني، نزار، قصيدة بلقيس، بيروت: منشورات نزار قباني ط4، 2001م.
28. قباني، نزار، كل عام وأنت حبيبتي، بيروت: منشورات نزار قباني، ط9، 2001م.
29. قباني، نزار، هكذا أكتب تاريخ النساء، بيروت: منشورات نزار قباني ط8، 2001م.
30. قباني، نزار، هل تسمعين صهيل أحزاني، بيروت: منشورات نزار قباني، ط5، 2006م.
31. قباني، نزار، يوميات امرأة لامبالية، بيروت: منشورات نزار قباني، ط15، 2001م.
32. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م.
33. الهواري، صلاح الدين، المرأة في شعر نزار قباني، بيروت: دار البحار، ط1، 2004م.